مجلة العميد

Journal Homepage: https://alameed.alameedcenter.iq/
ISSN: 2227-0345 (Print) ISSN 2311-9152 (Online)

التوحيد عند الإمام محمد الباقر عليه السلام

عبد الكريم عز الدين صادق[1]

١-جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات / قسم التاريخ، العراق؛ **arabic.nation@yahoo.com**
دكتوراه في الحضارة الإسلامية / استاذ

تاريخ الاستلام:
٢٢/ ٤/ ٢٠٢٢

تاريخ القبول:
١٩/ ٥/ ٢٠٢٢

تاريخ النشر:
٣٠/ ٦/ ٢٠٢٢

الكلمات المفتاحية:
التوحيد، علم الكلام، صفات الله، علم الله، التدبير الإلهي

المجلد (١١) العدد (٤٢)

DOI:
10.55568/amd.v11i42.1-16

الملخص:

يتميز تراث أئمة أهل البيت عليهم السلام بالأصالة والنقاء والقدرة على التأثير في الآخرين بسبب عمق هذا التراث، ويعزى ذلك إلى انتماء هذه المدرسة المباركة إلى بيت النبوة والوحي والرسالة، ولذلك فهنالك الرعاية والعناية الإلهية في توجيه مسار فكر أهل البيت عليهم السلام.

ومن أهم الركائز الفكرية لأئمة أهل البيت عليهم السلام هي الدعوة إلى دراسة التوحيد ومباحثه بالصورة السليمة التي تتماشى مع قيم الاسلام المحمدي ومبادئه، وبالصورة التي تساهم في تعزيز العلاقة بين الإنسان وخالقه.

وإن الإمام محمد الباقر عليه السلام، قد عاش في حقبة تاريخية حرجة ومهمة، فجده الإمام الحسين عليه السلام، سيد الشهداء وأصلب المدافعين عن الحق، وأبوه الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام صاحب الصحيفة السجادية، هذه الصحيفة المليئة بالحب والعشق الإلهي في أجمل صوره، وابنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، صاحب المذهب الأصيل المعروف، والذي تزامنت مع مدة حياته ظهور حركة الزندقة، ودور الإمام الصادق عليه السلام في مواجهة هذه الحركة والرد على أباطيلها.

ولذلك ومن خلال هذا البحث فأني وجدت أن الإمام محمد الباقر عليه السلام، كان له الدور الكبير في تعريف المسلمين بمنابع الإسلام الأصيل في مسائل التوحيد، فجاءت أحاديثه وتعاليمه بالأصالة والفكرة السديدة القادرة على إقناع الخصوم، وقد اعتمدنا في ذلك على أهم المصادر والمراجع المعتبرة في سبيل إنجاز البحث.

CC BY NC

Oneness for Imam Muhammad Al-Baqar

Abidalkareem Azaldin Sadaq[1]

1- University of Baghdad, College of Education for Women, Dept of History, Iraq;
arabic.nation@yahoo.com
PhD in Islamic Civilization / Professor

Received:
22/4/2022
Accepted:
19/5/2022
Published:
30/6/2022

Keywords:
Monotheism, Theology, Attributes of Allah, Knowledge of Allah, Divine Support.

Al-Ameed Journal

Volume (11)
Issue (42)

DOI:
10.55568/amd.v11i42.1-16

CC BY NC

Abstract

Highly distinguished the heritage of Ahalalbayt, peace be upon them, grows with its originality, purity and the ability to influence others due to the depth and the simplicity of such heritage. The reason lies in the pertinence of such a blessed school to the abode of prophethood, inspiration and message. So there is providence and divine custody to direct the pathway of Ahalalbayt imams.

One of the most important intellectual pillars of them is the call to study monotheism and its discussions in a sound manner in line with the values and principles of Muhammadan Islam and in a manner that contributes to strengthening the relationship between man and his Creator.

Imam Muhammad Al-Baqr lives in a nodal ,crucial and historical period ; his grandfather is the imam A-Hussein , the master of martyrs and the staunchest defenders of right , and his father, Imam Ali bin Al-Hussein Al-Sajjad, the author of Al-Sahifa Al-Sajjadiyah celebrating love and divine adoration for Allah in its most brilliant form . His son Imam is Ja`afr Al-Sadiq, the founder of the highly reputed and authentic denomination, whose life coincided with the emergence of the heresy movement, and his role in confronting such a movement and refuting its vanities. Therefore, through this research is trace that Imam Muhammad Al-Baqr had a great role in guiding Muslims to the sources of authentic Islam in matters of monotheism and in convincing the opponents of his teachings and sapience.

سيرته:

هو الإمام محمد الباقر أبو جعفر محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ولد الإمام الباقر عليه السلام بالمدينة سنة سبع وخمسين للهجرة، يوم الجمعة غرة رجب، وقيل الثالث من صفر، وقبض عليه السلام سنة أربع عشرة، ومئة في الحجة، وقيل: في شهر ربيع الأول، وقد تم عمره الشريف سبعاً وخمسين سنة.

وأمه أم عبد الله فاطمة بنت الحسن، فعاش مع جده الإمام الحسين عليه السلام أربع سنين، ومع أبيه تسعاً وثلاثين سنة، وكانت مدة إمامته ثماني عشرة سنة.

وقد عاصر الإمام عليه السلام: الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك[١].

سيرة الإمام عليه السلام في المصادر التاريخية:

عُرضت سيرة الإمام الباقر عليه السلام في المصنفات التاريخية والأدبية الفقهية القديمة الشيعية والسنية على حدٍ سواء، ومما يلفت النظر هو ذلك المديح والثناء على سيرة الإمام عليه السلام في مصنفات المذاهب الأخرى فيذكر لنا أبو نعيم الأصبهاني في حليته، عن عبد الله بن عطاء[٢]، قال: **"ما رأيت عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر لقد رأيت الحكم عنده كأنه متعلم"**[٣].

وقيل عنه إنه سيد فقهاء الحجاز ومنه ومن ابنه جعفر تعلم الناس الفقه، وهو الملقب بالباقر، باقر العلم، لقبه بهِ رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يُخلق بعد، وبشَّر به، ووعد جابر بن عبد الله برؤيته، وقال: ستراه طفلاً، فإذا رأيته أبلغه عني السلام، فعاش جابر حتى رآه، قال له ما وصي به[٤].

وفي سيرته العطرة، فأن المؤرخ والمحدث المعروف الذهبي، يشير الى أن الإمام الباقر عليه السلام، قد جمع بين العلم والعمل والسؤدد والشرف والثقة والرزانة وكان محلاً للخلافة، وشهر أبو جعفر بالباقر

---

١ المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١/ ١٦٩٩م) (بدون سنة)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤٦، ص٢١٢.

٢ عبد الله عطاء، روى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، وله كتاب. ينظر: الخوئي، السيد أبو القاسم، معجم رجال الحديث وتفضيل طبقات الرواة، مؤسسة الإمام الخوئي العامة، ج١١، ص٢٧٤.

٣ الأصفهاني، أبو نعيم (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٣، ص١٨٦.

٤ ابن أبي الحديد المعتزلي، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد (ت٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)(١٩٨٨)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١٥، ص١٦٤.

من بقر العلم شقّه فعرف أصله فيه[٥].

وقيل عنه بأنه كان قد جمع العلم والفقه والديانة والثقة والسؤدد، وكان يصلح للخلافة[٦].

أما المؤرخ والفقيه ابن كثير فإنه يصف الإمام الباقر﵇ بالقول بأنه تابعي جليل كبير القدر كثيراً، أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً[٧].

وتحدث عنه صاحب (الصواعق المحرقة) واصفاً إياه بالباقر، هو أظهر من مخبّآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحِكَمَ واللطائف، ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثم قيل فيه: هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه، صفا قلبه وزكا علمه وعمله، وظهرت نفسه وشرف خلقهُ وعمرت أوقاته بطاعة الله، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه السُنة الواصفين وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف[٨].

لقد أوردنا بعضاً من المصادر القديمة التي تناولت السيرة العطرة للإمام محمد الباقر﵇، وهنالك العديد من المصادر الأخرى التي تناولت هذا الموضوع، وهذا غيض من فيض.

التوحيد عند أهل البيت ﵈:

تتسم مدرسة أهل البيت ﵈، بأنها تناولت قضية التوحيد بطريقة عفوية وصميمية نابعة من الإرث المحمدي الأصيل وبيت البنوة، ولذلك جاءت متبنيات هذه المدرسة في موضوع التوحيد بالأصالة والعمق ومعالجة جميع الإشكالات التي تحيط بمباحث التوحيد، لترتقي بنا للوصول إلى التوحيد الفطري والنقاء الحقيقي بين الإنسان وربه.

إذ إن أغلب مباحث التوحيد عند الإمامية قد خرج من تمسكهم بالحديث والذي امتزج بفلسفتهم الإلهية، ولذلك فإن أحاديثهم تختلف عن ما رواه غيرهم من المسلمين، لأنها تشتمل على سلسلة تختزن مسائل عميقة في ما وراء الطبيعة وفي الاجتماع فأصبحت مورداً للبحث والتحليل المنطقيين.

فمثلاً إذا ما ورد كلام عن القضاء والقدر والإرادة الشاملة للحق تبارك وتعالى، وعن أسماء الباري

٥ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٤، ص(٤٠١-٤٠٢).

٦ الصفدي، صلاح الدين أيبك (ت٧٦٤/ ١٣٦٢م) (٢٠٠٠م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي فيصل، دار إحياء التراث، بيروت، ج٤، ص٧٧.

٧ ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج٩، ص٣٠٩.

٨ الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ابن حجر (ت٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) (١٩٩٧م)، الصواعق المحرقة، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٢، ص٥٨٦.

وصفاته، وعن الروح والإنسان، وعن عالم ما بعد الموت والحساب والكتاب والصراط والميزان، وعن الإمامة والخلافة، فأن الإمامية قد طرحت هذه المسائل كافة، وخضعت لأصول الاستدلال، ولذلك لم ينقسم الشيعة إلى فريقين أهل حديث، وأهل كلام، كما إنقسم الآخرون في ذلك.

ويعني أن توحيد الذات والتوحيد في العبادة على توحيد الصفات وتوحيد الأفعال، بمعنى أن الإمامية في بحث الصفات يلتزمون بالتوحيد الصفاتي ومعناه بأن ذات الله هو عين صفاته، وأن كل صفة إلهية هي عين الصفة الأخرى من الصفات الكمالية لله تعالى والاعتقاد بالتوحيد الصفاتي يقتضي أيضاً الاعتقاد بأنه لا شبيه له في صفاته الذاتية، فهو أي في العلم والقدرة لا نظير له[٩].

وفي بحث الأفعال فإن الإمامية يلتزمون بالتوحيد الأفعالي، ويعني الاعتقاد بأن موجودات العالم مخلوقة لله تعالى وتابعة له وغير مستقلة ذاتاً عنه، أما التوحيد الصفاتي عند الإمامية فأنه يتفاوت مع التوحيد الصفاتي عند المعتزلة، كذلك فالتوحيد الأفعالي عند الشيعة يغاير التوحيد الأفعالي عند الأشاعرة[١٠].

أولاً: صفات الله عند الإمام الباقر عليه السلام:

تتميز مدرسة أهل البيت عليهم السلام بأنها قامت على الوحي والرسالة والنبوة، وأنها الانعكاس الحقيقي لمعنى العشق والذوبان في الحب الإلهي، وأن الإمام الباقر عليه السلام هو الامتداد الحقيقي لهذا المعنى، وقد ذكر لنا بريد العجلي[١١]، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام، يقول: (بِنَا عُبِدَ الله، وَبِنا عُرِفَ الله، وَبِنا وحَد الله تبارك وتعالى، ومحمد حجاب الله تبارك وتعالى)[١٢].

ويتضح لنا أن الإمام الباقر عليه السلام، كان على مواصلة مستمرة في هذا العشق الإلهي وفي كل الظروف والأحوال، وهذا ما يحدثنا به (أسود بن سعيد)[١٣]، قائلًا: (كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول ابتداءً منه من غير أن أسأله: نحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده)[١٤].

وقد حثَّ الإمام الباقر عليه السلام جموع المسلمين على عدم الخوض والجدال في الصفات والذات الإلهية،

٩ ينظر: السبحاني، جعفر(٢٠١٦)، محاضرات في الإلهيات، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، بيروت، ص٤٣.
١٠ مطهري، مرتضى (٢٠٠٩)، العرفان والدين والفلسفة، دار الإرشاد، بيروت، ص٣٢٧.
١١ بريد العجلي: من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق ومن فقهاء الشيعة في القرن الثاني، وهو بُريد بن معاوية بن أبي حكيم واسمه حاتم، يكنى أبا القاسم، وعد بأنه من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام. ينظر: الطوسي، الشيخ الحسن بن محمد (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) (٢٠٠٨م)، رجال الطوسي، تحقيق: جواد الفيومي الأصفهاني، ط٥، دار النشر الإسلامية، ص١٢٨.
١٢ الكليني، محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)، أصول الكافي، ط١، منشورات الفجر، بيروت، ٢٠٠٧، ج١، ص٨٤.
١٣ هو الأسود بن سعيد الهمداني الكوفي (ت١١٠هـ) وهو محدث وله حديث في الملاحم، الذهبي/ سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٦.
١٤ الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٨٤.

على وجه الخصوص لعوام الناس، لأن ذلك سيؤدي إلى فرقتهم وتفتيت وحدة الأمة، وهو جدل في موضوع عقيم، قائلاً في ذلك: (دعوا التفكر في الله فأن التفكر في الله لا يزيد إلا تيهاً لأن الله تبارك وتعالى لا تدركه الأبصار ولا تبلغه الأخبار)[١٥].

ويرى الإمام الباقر﵇أن أفضل وسيلة للوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى هي التمعن والتدقيق في صناعة هذا الكون الفسيح وأسراره وتنظيمه الرفيع الإتقان، قائلاً: (إياكم والتفكر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمة الله فانظروا إلى عظيم خلقه)[١٦].

وإن صفات الله هي عين ذاته، وهو المنفرد الأزلي لهذه الصفات لا يشاركه ولا يشبهه أحد في تلك الصفات، قائلاً في ذلك: (اذكروا من عظمة الله ما شئتم ولا تذكروا ذاته فأنكم لا تذكرون منه شيئاً إلا وهو أعظم منه)[١٧]، وعن محمد بن مسلم[١٨] عن أبي جعفر﵇في قول الله عز وجل: ﴿**وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[١٩]، قال: من لم يدله خلق السماوات والأرض واختلاف الليل ودوران الفلك والشمس والقمر والآيات العجيبات على أن وراء ذلك أمراً أعظم منه فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، قال: فهو عما لم يعاين أعمى وأضلّ)[٢٠].

وأكد الإمام﵇التفكر في خلق الله وليس فيه، فالعبد في جمال ودقة صناعته لهو انعكاس لعظمة الخالق، فقد سمع أبو بصير[٢١] عن الإمام الباقر﵇أنه قال: (تكلموا في خلق الله، ولا تتكلموا في الله فأن الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحيراً، وفي رواية أخرى: تكلموا في كل شيء ولا تتكلموا في ذات الله)[٢٢].

ويرى الإمام الباقر﵇، أن البحث والتمعن في دراسة الذات الإلهية، لا يزيدنا في ذلك إلا تحيراً،

١٥ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/ ٩٩٢م)(٢٠٠٨)، التوحيد، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطرواني، ط١٠، مؤسسة النشر الإسلامي، ص٤٤٣.

١٦ م.ن، ص٤٤٤.

١٧ م.ن، ص٤٤١.

١٨ هو فقيه ومحدث من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم﵈، وهو من أصحاب الإجماع توفي سنة (١٥٠هـ) وكان له من العمر سبعون سنة. ينظر: سبحاني، جعفر، تذكرة الأعيان، مؤسسة الإمام الصادق﵇، ص٣٢.

١٩ سورة الإسراء، الآية: (٧٢).

٢٠ الصدوق، التوحيد، ص٤٤٢.

٢١ أبو بصير: كنيته مشتركة لبعض الرواة وأصحاب الإمامين الباقر والصادق﵈، وهم يحيى بن أبي القاسم الأسدي، ليث بن البحتري المرادي، عبد الله بن محمد الأسدي الكوفي، ويوسف بن حارث وأبو بصير الثقفي، وقد ورد اسم أبي بصير من دون قيد في سند الكثير من الروايات، حيث لا يتسنى تحديد هوية الراوي إلا من خلال القرائن الخارجية، والكثير من علماء الرجال يعتبر كلا الرجلين: أبو بصير الأسدي وأبو بصير المرادي ثقتين وموضع اعتماد. ينظر: السيد الخوئي، أبو القاسم، معجم الحديث، ج١٥، ص١٤٤.

٢٢ الكليني، الأصول، ج١، ص٥٤.

لأنه بحكم التأثير الحسي على فكر الإنسان فسيؤدي ذلك إلى مقارنته عزوجل مع مخلوقاته، وهذا ما يفضي إلى الانحراف الفكري الخطير، لأنه ليس كمثله شيء، قائلاً في ذلك: (اذكروا من عظمة الله ما شئتم ولا تذكروا ذاته فأنكم لا تذكرون منه شيئاً إلا وهو أعظم منه)[٢٣].

وعن عبد الرحمن بن عيتك القصير[٢٤]، قال: (سألت أبا جعفر عليه السلام: عن شيء من الصفة فرفع يده إلى السماء، ثم قال: تعالى الجبار، تعالى الجبار، ما تعاطى ما ثم هلك)[٢٥]، وهنا إشارة من الإمام عليه السلام بأنه لا يريد من المسلمين الخوض في مثل هذه المناظرات الكلامية.

ومن المسائل العقدية هي مسألة أزلية وقدم الله سبحانه وتعالى، وهي تلك العقيدة التي يؤمن بها معظم المسلمين، على وجه الخصوص جمهور الشيعة الإمامية ومن البراهين التي يستدل على إثبات وجود خالق الكون، برهان الحدوث، وقد استدل به أمام الموحدين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، على وجود الله سبحانه وأزليته في مواضع من كلماته وخطبه التوحيدية، منها قوله: (الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده)[٢٦]. وعن محمد بن مسلم[٢٧]، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال في صفة القديم: (أنه واحد صمدي أحدي المعنى ليس بمعاني كثيرة مختلفة، قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنه سمع بغير الذي يُبصُر ويُبصَر بغير الذي يَسمعُ، قال: فقالوا: كذبوا والحدوا وشبهوا تعالى الله عن ذلك، إنه سميع بصير يسمع ما يُبصُر ويُبصُر بما يسمعُ، قال: قلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه، قال: فقال: تعالى الله أنما يعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك[٢٨].

ويبين لنا الإمام الباقر عليه السلام، بأن الله ليس كمثله شيء، فهو النقاء الإلهي الخالص، قائلاً في ذلك: (إن الله خلو من خلقِه، وخلقهُ خلو منهُ، وكل ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله، ووردت أيضاً في مكان آخر بعبارة (... ما خلا الله تعالى فهو مخلوق والله خالق كل شيء)[٢٩].

---

٢٣ الصدوق، التوحيد، ص٤٤١.

٢٤ هو عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك، من أهل المدينة، وهو ثقة. ينظر: المزي، يوسف بن الزكي (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)(١٩٨٠)، تهذيب الكمال، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١٥، ص١٧١.

٢٥ الكليني، الأصول، ج١، ص٥٦.

٢٦ ينظر: السبحاني، جعفر، محاضرات في الإلهيات، تلخيص الشيخ علي الرباني الكلبايكاني، مؤسسة النشر الإسلامي، ص٣٩.

٢٧ تم ترجمته سابقاً.

٢٨ الكليني، الأصول، ج١، ص٦٣.

٢٩ م.ن، ص(٤٨-٤٩).

ولذلك فأن الإمام الباقر﵇يذهب بالقول بأنه لا يمكن أن يقال لله بالشيء، لأنه ليس كمثل الأشياء الباقية المحسوسة في حياتنا اليومية، فعن محمد بن عيسى[٣٠]، قال: (سُئِلَ أبو جعفر﵇: أيجوز إن يُقالَ: أن الله شيءً؟ قال: نعم يخرجه من الحدين: حد التعطيل وحد التشبيه)[٣١].

ويبين المجلسي ذلك بأن، حد التعطيل هو عدم إثبات الوجود أو الصفات الكمالية، والفعلية والإضافية له. وحد التشبيه: الحكم بالاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات وعوارض الممكنات[٣٢].

وليس من الصحيح إطلاق القول بأنه شيء، لأنه خارج عن حيز الأشياء والمحسوسات، فعن أبي نجران[٣٣]، قال: (سألت أبا جعفر﵇عن التوحيد، فقلت: أتوهُم شيئاً؟ فقال: نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، ولا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهامُ، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يتصور في الأوهام؟ إنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود)[٣٤].

وإن الأجسام المادية والحسية، بحاجة إلى المكان الذي يميزها، يكسبها هويتها، وقد اتفق العقلاء والحكماء باحتياج كل جسم إلى مكان، وأن هذا المكان لا يصح عليه الخلو[٣٥]، وعندما نطلع على أحاديث الإمام الباقر﵇في الصفات الإلهية وتجريده من المكان والحيز المادي والزماني، فأننا نجد ذلك الإبداع والتألق في الوصف والاستنتاج، وليس ذلك بالغرابة فهو من بيت النبوة ومن بيت العلم والحكمة، فسأله رجل فقال له: أخبرني عن ربك متى كان؟ فأجابه الإمام﵇: (ويلك، إنما يقال لشيء لم يكن، متى كان؟ إن ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حياً بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان لكونه كيف، ولا كان فيه شيء ولا كان على شيء[٣٦].

وهذا يعني أن الله تعالى لا يحل في شيء، ولا كان على شيء، فليس لله تعالى جهة عليا تحيطه، ولا ابتدع لمكانه مكاناً، أي إن الله موجود في كل مكان وزمان، وإنه لا يتصف بالضعف والعجز مثل مخلوقاته، ثم قوي بعد ذلك.

٣٠ محمد بن عيسى: هو محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين، ثقة، عين كثير الرواية، حسن التصانيف. ينظر: السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٨، ص١١٩.

٣١ الكليني، الأصول، ج١، ص٥٠.

٣٢ المجلسي، محمد باقر بن محمد بن تقي (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، مرآة العقول، دار الكتب الإسلامية، ج١، ص٢٨٢.

٣٣ أبي نجران: روى عن عاصم بن حميد، وروى عنه إبراهيم بن هاشم، وقع بهذا العنوان في إسناد كثير من الروايات، تبلغ ثلاثمائة وتسعة وعشرين مورداً، وقد روى عن أبي جعفر﵇وأبي جعفر الثاني﵇. ينظر: السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٢٣، ص١٥٢.

٣٤ الكليني، الأصول، ج١، ص٤٨.

٣٥ الطوسي، محمد بن الحسن (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)(بدون سنة)، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، شرح جمال الدين بن يوسف أبي علي بن المطهر المشتهر بالعلامة الحلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ص١٣٣.

٣٦ الكليني، الأصول، ج١، ص(٨٨-٨٩).

ويحدثنا الإمام صلوات الله وسلامه عليه بقدرة الله تعالى على معرفته وإحاطته بجميع الأمور، فهو ليس بغافل عن شيء، فعن فضيل بن سُكرة[٣٧]، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك إن رأيت أن تعلمني هل كان الله جل وجهه يعلم قبل أن يَخلق الخلقَ أنه وحده؟ فقد اختلف مواليك، فقال بعضهم: قد كان يعلم قبل أن يخلق شيئاً من خلقه، وقال بعضهم: إنما معنى يعلم يفعل، فهو اليوم يعلم أنه لا غيره قبل فعل الأشياء فقالوا: (إن أثبتنا أنه لم يزل عالماً بأنه لا غيره فقد أثبتنا معه غيره في أزليته؟ فأن رأيت يا سيدي أن تُعلمني مالا أعدوه إلى غيره؟ فكتب عليه السلام: ما زال الله عالماً تبارك وتعالى ذكره)[٣٨].

والأمر نفسه يذكره محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: (سمعته يقول كان الله عزوجل ولا شيء غيره ولم يزل عالماً بما يكون، فعلمه به قبل كونه، كعلمه به بعد كونه)[٣٩].

ويحدثنا الإمام عليه السلام بأن علينا أن نعبد الله بأسمائه، وليس عبادة الاسم دون المسمى، فعن عبد الرحمن بن أبي نجران[٤٠]، قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام إذ قلت له: جعلني الله فداك، نعبد الرحمن الرحيم الواحِدَ الأحدَ الصمَد؟ فقال: إنَّ من عبد الاسم دون المسمى بالأسماء أشرك وكفر وجحد ولم يَعْبُد شيئاً، بل اعبد الله الواحد الأحد الصَمد المُسمى بهذه الأسماء دون الأسماء، إن الأسماء صفات وصف بها نفسه)[٤١]، ويعلق العلامة الفيض الكاشاني على ذلك بالقول: يعني لابد أن تنسب عبادتك أولاً إلى الله ثم تصفه بالصفات التي دلت عليها هذه الأسماء لأن الله هو اسم الذات المسمى بهذه الأسماء وهذه أسماء صفات له[٤٢].

و هذا الأمر عند الإمام ليتطلب من المؤمن المسلم أن يبحث عن الحقيقة الإلهية، وأن يلتمس بالسنن والتعليمات الإلهية، وذلك قال: (من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً، فأن مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً)[٤٣].

وعند المسلمين فإن عبارة شهادة لا إله إلا الله، لها عمقها التوحيدي، ونقاؤها الروحي، وفي هذا الصدد فإن الإمام الباقر عليه السلام يقول: (ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة لا إله إلا الله لأن الله

٣٧ الفضيل بن سكرة، كوفي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام. ينظر: الطوسي، رجال الطوسي، ص٢٧٠.
٣٨ الكليني، الأصول، ج١، ص٦٣.
٣٩ الكليني، الأصول، ج١، ص٦٢.
٤٠ وهو عمرو بن مسلم التميمي، مولى، كوفي، أبو الفضل، وكان ثقة/ السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٢٣، ص١٥٣.
٤١ الكليني، الأصول، ج١، ص٥١.
٤٢ الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م)، كتاب الوافي، منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين، أصفهان، ج١، ص٣٤٨.
٤٣ ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي بن الحسين (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)(٢٠٠٢)، تحف العقول عن آل الرسول، تقديم وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، ط٧، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ص٢١١.

عزوجل لا يعَد لهُ شيء ولا يشركه في الأمر أحد)، ويتضح من ذلك أن ثواب الشهادة بوحدانيته والإقرار بوجوده، لا يشبهه ثواب عمل من الأعمال ولا يعدله جزاء علم من العلوم، إذ شرف العلم والابتهاج به، إنما هو باعتبار شرف معلومه، وأيضاً لما كان الله عزوجل لا يشركه شيء في أمر من الأمور ومن جملة الأمور المتعلقة به ثواب الشهادة به، فلا يشرك ثوابها ثواب شيء من الأشياء[٤٤].

ويحدثنا الإمام (صلوات الله عليه) بكلمات عميقة ومؤثرة يتضح فيها عمق العشق والذوبان في الحب الإلهي، فقد كتب إلى رجل بخط يده وقراءته في دعاء كتب به أن يقول: (يا ذا الذي كان قبل كل شيء ثم خلق كل شيء ثم يبقى ويفنى كل شيء، ويا ذا الذي ليس في السماوات العُلى، ولا في الأرضين السفلى ولا فوقهن ولا بينهن ولا تحتهن إله يعبد غيره)، ويعلق العالم الرباني القمي على ذلك بالقول: (إن عدم معبودية غيره في السماوات وفوقها، وفي الأرض وتحتها وفي ما بينهما، إنما هو بالحقيقة، لأن كل ما يعبد سواه فإنما يعبد لزعم خير فيه من إيصال إلى محبوب أو دفع مكروه أو من حيث هو خير فقط. ولا ريب أن كل خير فهو من الله في أي شيء كان. وهو الضار والنافع ولا حول ولا قوة إلا به فذلك العابد ما سوى الله[٤٥].

ويتحدث الإمام (صلوات الله عليه) عن تفسير الهوى والضلالة والتوفيق والخذلان من الله تعالى، فعن جابر بن يزيد الجعفي[٤٦]، عن أبي جعفر محمد الباقر، قال سألته عن معنى (لا حول ولا قوة إلا بالله) فقال: معناه لا حول لنا عن معصية الله إلا بعون الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بتوفيق الله عزوجل[٤٧].

ومن سور القرآن العظيمة هي سورة الإخلاص، وسميت سورة التوحيد، لأنه ليس فيها إلا التوحيد، وكلمة التوحيد تسمى: كلمة الإخلاص. وقيل إنما سميت بذلك، لأن من تمسك بما فيها اعتقاداً وإقراراً، كان مؤمناً مخلصاً.. ومن قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن[٤٨]، وفي أهمية وجمال هذه

٤٤ القمي، سعيد بن محمد بن محمد (ت١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م)، شرح توحيد الصدوق، تصحيح: د. نجفقلي حسبي، ج١، ص٢٥.
٤٥ م.ن، ج١، ص(٢٤٧-٢٤٨).
٤٦ هو جابر بن يزيد الجعفي، محدث تابعي، مفسر، ومؤرخ من أصحاب الإمام الباقر الإمام الصادق، توفي سنة (١٢٨هـ). ينظر: العسقلاني، ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م)، تهذيب التهذيب، تحقيق: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٧، ص٢٠١.
٤٧ الصدوق، التوحيد، ص٢٣٧.
٤٨ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) (٢٠٠٦)، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١، دار المرتضى، بيروت، ج١٠، ص٣٦٨.

السورة القرآنية، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى: (قل هو الله أحد)، قال: (قل) أي أظهر ما أوحينا إليك. ونبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد، وهو اسم مكنى مشار إلى غائب، فالهاء تنبيه على معنى ثابت، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس، كما أن قولك (هذا) إشارة إلى الشاهد عند الحواس، وذلك أن الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك، فقالوا: هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار، فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نراه وندركه، فأنزل الله تبارك وتعالى قل هو الله أحد، فالهاء تثبت للثابت والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواس وأنه تعالى عن ذلك بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواس[٤٩].

ولذلك فأن الإمام الباقر عليه السلام، كان يعمل على حث القاعدة الجماهيرية الإسلامية من أجل عبادة الله الأحد الصمد والذي تراه العقول ولا تراه العيون، فعن عبد الله بن سنان[٥٠]، عن أبيه قال: (حضرت أبا جعفر الباقر عليه السلام، فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟ قال: الله تعالى، قال: رأيته؟ قال: بل لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس، ولا يشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلاقات، لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلا هو: قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته)[٥١].

وهنا تكمن أهمية مكاشفة القلوب للوصول إلى الحب والعشق الإلهي، فعن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري[٥٢]، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٥٣]، فقال: أبا هاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون[٥٤].

ثانياً: الزمان والمكان عند الإمام الباقر عليه السلام:

إن جميع الأحاديث التي وصلت إلينا من أهل البيت عليهم السلام، تؤكد بأن الباري عز وجل لا يحده زمان

٤٩ الصدوق، التوحيد، ص٨٦.
٥٠ عبد الله بن سنان بن طريف مولى بني هاشم، يقال مولى بني أبي طالب، ويقال مولى بني العباس، وهو ثقة وله كتاب رواه جماعة. ينظر: السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١١، ص٢٢٤.
٥١ الكليني، الأصول، ج١، ص٥٧.
٥٢ داود بن القاسم الجعفري، يكنى أبا هاشم، ثقة جليل القدر. ينظر: السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٨، ص١٢٣.
٥٣ سورة الأنعام، الآية(١٠٣).
٥٤ الكليني، الأصول، ج١، ص٥٨.

ولا مكان، فعن أبي بصير قال: جاء رجل إلى أبي جعفر الباقر، فقال له: (أخبرني عن ربك متى كان؟ فقال: ويلك إنما يقال لشيء لم يكن: متى كان، إن ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حياً بلا كيفٍ، ولم يكن له كان، ولا كان لكون، كيف ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدع لمكانه مكاناً، ولا قوي بعد ما كون الأشياء، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكون شيئاً، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً، ولا يشبه شيئاً مذكوراً.. ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه، لم يزل حياً بلا حياةً)[٥٥].

هذه السطور القلائل اختصرت مباحث التوحيد بصورة كاملة، واعتقد بأن الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام الإسلامي يدينان إلى فكر أهل البيت، باعتبار أن مباحث علم الكلام كانت جاهزة وكاملة من بواكير ظهور الدعوة الإسلامية، والدليل على ذلك تلك السطور الرائعة للإمام الباقر.

وفي هذا الصدد أيضاً، سأل أحدهم الإمام الباقر، قائلاً له: (أخبرني عن الله متى كان؟، فقال: (متى لم يكن حتى أخبرك متى كان؟، سبحان لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتخذ صاحبته ولا ولداً) ويعلق العلامة الفيض الكاشاني على ذلك بالقول: (نبه هذا التسبيح على أن (متى) من صفات المخلوقين، وأن (متى كان) يستلزم (متى لم يكن) كما مضى تحقيقه[٥٦].

وفي خصوص موضوع المكان والخير فيه، فقد سأل أحدهم الإمام الباقر: (أكان الله ولا شيء؟) قال: نعم كان ولا شيء، فقال للإمام: فأين كان يكون، فكان الإمام متكئاً فاستوى جالساً، وقال (سألت عن المكان إذ لا مكان)[٥٧].

ثالثاً: التدبير الإلهي عند الإمام الباقر:

عند تمعننا في أسرار هذا الكون وتنظيمه المبدع والجميل، تتجلى لنا القدرة الإلهية وتدبرها في كل مناحي الكون والحياة، ولذلك قال الإمام الباقر: (كفى لأولى الألباب بخلقِ الرب المسخر، وفلكِ الرب القاهر، وجلالِ الرب الظاهر، ونور الرب الباهر وبرهان الرب الصادق، وما أنطق به السنة العباد، وما أرسل به الرسل، وما أنزل على العباد دليلاً على الرب)[٥٨].

ومن آيات الله، أن جعل الروح الإنسانية هي نفخة من الروح الإلهية، ولكن هنالك التمييز بين الحالتين، فعن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عما يروون أن الله خلق آدم على صورته، فقال

٥٥ م.ن، ج١، ص٥٢.
٥٦ الفيض الكاشاني، الوافي، ج١، ص٣٤٩.
٥٧ الكليني، الأصول، ج١، ص٥٣.
٥٨ الكليني، الأصول، ج١، ص٤٨.

هي صورة محدثة، مخلوقة، واصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه، كما أضاف الكعبة إلى نفسه، والروح إلى نفسه، فقال (بيتي)، و(نفخت فيه من روحي)[٥٩].

ويتضح لنا ان العقل الإنساني غير قادر على إيجاد حلول وإجابات حول بعض الظواهر الحياتية اليومية، ولكن لله حكمته وصوابه في ذلك وفي أفعاله، وهذا ما يبينه لنا الإمام الباقر عليه السلام، فعن جابر بن يزيد الجُعفي، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: يا ابن رسول الله إنا نرى من الأطفال من يولد ميتاً، ومنهم من يسقط غير تام، ومنهم من يولد أعمى أو أخرس أو أصم، ومنهم من يموت من ساعته إذا سقط على الأرض، ومنهم من يبقى إلى الاحتلام، ومنهم من يعمر حتى يصير شيخاً، فكيف ذلك، وما وجهه؟ فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أولى بما يدبره من أمر خلقه منهم، وهو الخالق والمالك لهم، فمن منعه التعمير فإنما منعه ما ليس له، ومن عمّره فإنما أعطاه ما ليس له، فهو المتفضل بما أعطاه وعادل فيما منع، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، قال جابر: فقلت له: يا ابن رسول الله، وكيف لا يسأل عما يفعل؟ قال: لأنه لا يفعل إلا ما كان حكمة وصواباً، وهو المتكبر الجبار والواحد القهار فمن وجد في نفسه حرجاً في شيء مما قضى الله فقد كفر، ومن أنكر شيئاً من أفعاله جحد)[٦٠].

وفي خصوص الأفعال الإلهية وبيان صفاتها، فأن الإمام الباقر عليه السلام يبين ذلك بطريقة إسلامية تربوية وعميقة المعنى والدلالة، فعن المشرقي حمزة بن المرتفع[٦١]، وعن بعض أصحابه قال: كنت في مجلس أبي جعفر عليه السلام، إذ دخل عليه عمرو بن عبيد[٦٢]، فقال له: جُعلتُ فداك قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ**﴾[٦٣]، ذلك الغضب؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: هو العقاب يا عمرو، إنه من زعم أن الله قد زال من شيء إلى شيء فقد وصفه صفة مخلوق وأن الله تعالى لا يستفزه شيء فيغيره)[٦٤].

والمعروف عند المسلمين والمتكلمين أن الله هو خير محض، وأن الشر هو جانب عرضي من الخير، والله سبحانه وتعالى لا يصدر الشر منه، ولذلك فأن الإمام الباقر عليه السلام يوضح هذه المسألة العقدية

٥٩ الكليني، الأصول، ج١، ص٧٨.
٦٠ الصدوق، التوحيد، ص٣٨٦.
٦١ هو حمزة بن المرتفع المشرقي، وروى عن محمد بن يعقوب. ينظر: السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٧، ص٢٩٦.
٦٢ عمرو بن عبيد: كبير المعتزلة، مات بطريق مكة سنة ثلاث وقيل: سنة أربع وأربعين ومائة، وله كتاب (العدل) و(الرد على القدرية). ينظر: الذهبي، شمس الدين (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٢٥٩.
٦٣ سورة طه، الآية: ٨١.
٦٤ الكليني، الأصول، ج١، ص٦٤.

المهمة، فعن محمد بن مسلم، قال سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: (إن في بعض ما أنزل الله من كتبه أنّي أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخير وخلقت الشر فطوبى لمن أجريتُ على يديه الخير وويل لمن أجريت على يديه الشر وويل لمن يقول: كيف ذا وكيف ذا)[٦٥].

ويعلق العلامة المازندراني على هذا الحديث قائلاً: (لا منافاة أما أولاً فلأن إرادة الشر بالعرض من حيث أنها تابعة لإرادة الخير وذلك لأنه إذا أراد الخير بدون حتم بمعنى أنه أراد صدوره عنهم باختيارهم ولم يجبرهم عليه فقد أراد الشر بالعرض فإرادته تابعة لإرادة الخير، بالمعنى المذكور والحق الثابت أنه لا يريد الشر لعلمه بصدوره عنهم على اختيارهم)[٦٦].

ومما يتسم به أهل البيت عليهم السلام، بأنهم غير راغبين في هذه الدنيا، وعرفوا بزهدهم وتقواهم والخشية من الله وطلب رحمته ومغفرته، ولذلك خرج الإمام الباقر يوماً، وهو يتحدث مع جابر ويقول له: (أصبحت والله يا جابر محزوناً مشغول القلب، فقلت: جعلت فداك ما حزنك وشغل قلبك، كل هذا على الدنيا؟ فقال عليه السلام لا يا جابر، ولكن حزن هم الآخرة، يا جابر من دخل قلبه خالص حقيقة الإيمان شغل عما في الدنيا من زينتها، إن زينة زهرة الدنيا إنما هو لعب ولهو، وأن الدار الآخرة لهي الحيوان، يا جابر: أن المؤمن لا ينبغي له أن يركن ويطمئن إلى زهرة الدنيا. واعلم أن أبناء الدنيا هم أهل غفلة وغرور وجهالة، وأن أبناء الآخرة هم المؤمنون العاملون الزاهدون أهل العلم والفقه وأهل فكرة واعتبار لا يملون من ذكر الله. واعلم يا جابر أن أهل التقوى هم الأغنياء، أغناهم القليل من الدنيا فمؤونتهم يسيرة، إن نسيت الخير ذكروك وأن عملت به أعانوك، أخروا شهواتهم ولذاتهم خلفهم، وقدموا طاعة ربهم أمامهم، ونظروا إلى سبيل الخير[٦٧].

---

٦٥ م.ن، ج٨٩.

٦٦ المازندراني، محمد صالح (ت١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م)، (شرح أصول الكافي)، تحقيق: علي عاشور، ط٢، مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٨، ج٤، ص٢٩٤.

٦٧ الحراني، تحف العقول، ص٢٠٥.

خاتمة البحث:

يمكن لنا أن نستنتج في خاتمة البحث بما يأتي:

١.يتبين لنا من خلال هذا البحث أن مباحث التوحيد والإلهيات، قد اهتم بهما أهل البيت الأطهار عليهم السلام، لأنهم أهل بيت النبوة الذين استمدوا مبادئ التوحيد من العناية والرعاية الإلهية.

٢.ويتضح لنا أن الإمام محمد الباقر عليه السلام، قد أدى دوراً رسالياً وتاريخياً في توعية المسلمين على مبادئ التوحيد ومحاربة الأفكار المظللة والفاسدة.

٣.وجدنا أن الإمام محمد الباقر عليه السلام، قد قدم إلينا مباحثه التوحيدية وفق منهجية سليمة وآراء سديدة في عملية الصفاء والنقاء للصفات والذات الإلهية، بصورة مبسطة وعفوية، وأن كلماته التوحيدية لقادرة على اختراق القواعد الجماهيرية الإسلامية والتأثير فيهم لصدق معانيها.

٤.ويتضح لنا ومن خلال قراءة فاحصة لأحاديث التوحيد عند الإمام محمد الباقر عليه السلام، بأن هذه الأحاديث هي النواة الأولى لعلم الكلام الإسلامي، وقد سبقت ذلك المدونات الكلامية في التوحيد والتي ظهرت أيام الدولة العباسية، واعتقد بأن معظم المتكلمين في التوحيد هم عيال على مدرسة أهل البيت التوحيدية.

٥.وجدنا أن الإمام محمد الباقر عليه السلام، له القدرة المتميزة على الإجابات الفورية في إشكاليات التوحيد، وذلك لما يحمله من أرث حضاري وفكري وعقدي وتوحيدي.

٦.ونعتقد بأن موضوع التوحيد عند أهل البيت عليهم السلام يحتاج إلى المزيد من البحث والتدقيق لاستخراج اللالئ المضيئة في أعماق البحار.

المصادر:

القرآن الكريم

ابن أبي الحديد المعتزلي، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد (ت٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م). د.ت. شرح نهج البلاغة: تحقيق: محمد عبد الكريم النمري. ط١. بيروت: دار المكتبة العلمية.

ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) د.ت. البداية والنهاية. د.ط. بيروت: مكتبة المعارف.

الأصفهاني، أبو نعيم (٤٣هـ/ ١٠٣٩م). ١٩٩٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. ط٤. بيروت: دار الكتاب العربي.

الحراني، الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (من أعلام القرن الرابع الهجري). ٢٠٠٢. تحف العقول عن آل الرسول: تعليق: الشيخ حسين الأعلمي. ط٧. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

د.ت. محاضرات في الإلهيات، د.ط. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي للطباعة.

د.ت. مرآة العقول. دار الكتب الإسلامية.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م). د.ت. سير أعلام النبلاء: تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي. ط٩. بيروت: مؤسسة الرسالة.

السبحاني، جعفر. ٢٠١٦. تذكرة الأعيان. مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

السيد الخوئي، أبو القاسم د.ت. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة. مؤسسة الإمام الخوئي العامة.

الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/ ٩٩٢م). ٢٠٠٠. التوحيد: تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني. ط١٠. مؤسسة النشر الإسلامي.

الصفدي، صلاح الدين إيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م). د.ت. الوافي بالوفيات: تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي فيصل. د.ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م). ٢٠٠٦. مجمع البيان في تفسير القرآن. ط١. بيروت: دار المرتضى.

الطوسي، الشيخ الحسن بن محمد (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) د.ت. رجال الطوسي: تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني. ط٥. دار النشر الإسلامية.

الطوسي، محمد بن الحسن (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) د.ت. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: شرح جمال الدين بن يوسف ابن علي بن المطهر المشتهر بالعلامة الحلي. د.ط. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

العسقلاني، ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد (ت٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م) د.ت. تهذيب التهذيب: تحقيق: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م) د.ت. كتاب الوافي. أصفهان: منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين.

القمي، سعيد بن محمد بن محمد (ت١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م) د.ت. شرح توحيد الصدوق: تصحيح: د. غفقلي حسبي. طهران.

الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) ٢٠٠٧. أصول الكافي.د.ط. بيروت منشورات الفجر.

المازندراني، محمد صالح (ت١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م) ٢٠٠٨. شرح أصول الكافي: تحقيق: علي عاشور. ط٢. مؤسسة التاريخ العربي.

المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م) د.ت. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. ط٣. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المزي، يوسف بن الزكي (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) . ١٩٨٠. تهذيب الكمال. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

مطهري، الشيخ مرتضى. ٢٠٠٩. العرفان والدين والفلسفة. د.ط. بيروت: دار الإرشاد.

الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ابن حجر (ت٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م). ١٩٩٧. الصواعق المحرقة: تحقيق: عبد الرحمن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط. د.ط. بيروت: مؤسسة الرسالة.